يعود شعبنا » (١٩٦٦) ، بالاضافة الى مجموعته الصادرة في أعقاب ١٩٦٧ بعنوان « سفينة الغضب » (بدون تاريخ) . تدور هذه المجموعات كلها تقريبا — ويسودها النغم المحارب — حول الفكرة القائلة بأن اللاجئين لن يتمكنوا من استرجاع حياة ذات معنى الا من خلال اتحادهم مع ارض الوطن . ومن هنا ينبع ايمانه بحتمية العودة(٢٩) . وفي قصيدة له عنوانها « مسافرون » يصف عذاب اللاجئين الباحثين عبثا عن حياة جديدة خارج أرضهم بمزيج من النغم المحزن والنصح التحذيري(٣٠) . فاللاجىء يطالعنا من خلال تتابع سريع للمشاهد وهو يتصارع مع القرار الصعب والذي لا مفر منه ، بترك مخيمه وشأنه والتطلع في أحلامه صوب أرض اكثر وعدا . ويقضي أبواه المسنان وزوجته وأطفاله الابرياء سواد ليلهم بالنواح على رحيله الوشيك ، ثم يحتشد الجميع قبل طلوع الفجر لوداعه في محطة القطار ، التي يصفها الشاعر بمثابة رصيف للدموع . وبعد مغادرة القطار ، تجد الاسرة نفسها في حالة من الذهول ، فتعاني أثناء الليل من « قسوة الصمت » الذي يستحوذ على « مخيمها الجريح » . أما اللاجىء المرتحل ، فيجد نفسه الان في مكان ما من ارض غريبة ، تطارده خطيئته بلا هوادة ، دون ان يعثر على مكافأة سوى التجوال أو يسمع شيئا غير كلمة الازدراء « لاجىء » ! وتتفجر رسائله الى عائلته بالشوق والحزن ، بينما يأخذ الاطفال التائقون في تعذيب أمهم بأسئلتهم الملحاحة عن اخبار عودته . وأخيرا ، كأن هذا العذاب كله لا يكفي ، يضفي الشاعر من عنده على اللاجىء احساسا بالاثم مذكرا اياه بأنه في الاقدام على الرحيل ، قد خان دوره كمدافع عن وطنه .

ان من بين الرموز التوكيدية التي يستخدمها هارون هاشم رشيد وغيره من الشعراء للدلالة على مقصدهم في العودة هو « مفتاح البيت » الذي يحمله اللاجئون معهم اثناء تجوالهم في المنفى . وفي قصيدة مكرسة كليا لهذا الموضوع(٣١) يكتسب المفتاح هالة من القداسة ويصبح هدفا للتبجيل والعبادة .

هذا التعلق اياه بالمفتاح يوجد ايضا في شعر محمود درويش ، الذي يعبر في احدى قصائده : « خلف الاسلاك »(٣٢)، عن توقه للاحتفاظ بمفاتيحه حتى الموت ، وبالاسلوب التالي :

« احج اليك يا حيفا
وانفض عن مصابيحي
غبار الليل والزمن
فما زالت مفاتيحي
معي . في الجيب والعينين والكفن » .

ومن الرموز الملهمة الاخرى التي أخذت تزداد تكرارا في الادب العربي المعاصر بشكل عام ، رموز مستقاة من المصادر التوراتية . فالصلب هو الرمز الغالب ، بيد انه يجري استحضار رموز أخرى مثل قايين وهابيل وأيوب . ثمة قصيدة حديثة العهد كتبها الشبعاوي من غزة بعنوان « فلسطين » ، وهي تتناول المأساة بطريقة حادة الذكاء دون أية اشارة الى الحاضر . انها تحكي ، من خلال مقاطعها الثلاثة والمكرسة على التوالي لكل من المسيح وهابيل وأيوب ، قصة التضحية والذنب والانتصار النهائي للمستعبدين (بفتح الباء)(٣٣) .

— ب —

اذا كان أدب المنفى يشغله هاجس رئيسي هو الاوضاع المؤلمة التي بات عليها الفلسطينيون ، وموضوع العودة بنوع خاص ، فان أدب المقاومة الذي كتبه عرب الارض المحتلة قد أولى اهتمامه في الدرجة الاولى للحفاظ على الهوية الفلسطينية العربية . واذا كان الادب الاول يمتاز على العموم بتلك الروح من الانتحاب او